

رسائل التجار الْمُهَاجِرَة: (٢)

دُوْرُ

# الْمَسْجِدُ فِي الْإِسْلَامِ

تأليف

أَخْمَدُ بْنُ يَحْيَى التَّجْمِعِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

أَمَّا بَعْدُ:

مَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ إِلَامٌ بِالْعِلُومِ الْشَّرِعِيَّةِ، وَبِالْأَخْصِ عِلُومِ الْحَدِيثِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالسِّيرِ، أَنَّ الْمَسْجَدَ كَانَ فِي زَمْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَخَلْفَاهُ الرَّاشِدُونَ -رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمْنِ مُنْطَلِقًا لِكُلِّ خَيْرٍ.

فِيهِ تَؤَدِّيُ الْعِبَادَةُ، فَتَقَامُ فِيهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَمِنْ فَوْقِ مَنْبِرِهِ تَصْدُرُ الْمَوَاعِظُ، وَالْتَّعْلِيمَاتُ، كَمَا فِي قَصَّةِ بَرِيرَةٍ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا بَالْأَفْوَامُ يَشْتَرِطُونَ شَرْوَطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ باطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مَائَةً شَرْطًا، قَضَاءُ اللَّهِ أَحْقَ، وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الولاءُ لِمَنْ أَعْنَقَ»<sup>(١)</sup>.

وَفِيهِ يَجْلِسُ الْمَعْلُومُونَ لِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ.

وَفِيهِ يَلْتَقِيُ الْعُلَمَاءُ وَالطلَّابُ، هَذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه جَمَاعَةً فِي السُّوقِ: «أَنْتُمْ هَا هَا؛ وَمِيراثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقْسَمُ فِي الْمَسْجَدِ، فَتَرْكُوا أَعْمَالَهُمْ وَذَهَبُوا إِلَى الْمَسْجَدِ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا حَلْقًا يَتَعَلَّمُونَ، فَرَجَعُوا

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: كِتَابُ الْعُنْقِ (٣٧٥٦ و٣٧٥٨).

إلى أبي هريرة رض وقالوا: ذهبنا فلم نجد فيه إلا حلقاً يتعلمون، فقال: ذاك ميراث رسول الله صل.

ومنه تنطلق الدعاء والأمراء، فقد أرسل النبي صل معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، وقال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا» <sup>(١)</sup>.

ومنه كانت تخرج الغزارة في الغزوات والسرايا، وقد ظهر النبي صل يوم أحد في درعين.

وفيه كانت تعقد الألوية والرايات.

وإليه تصل البشائر بالنصر في عهده، وعهود خلفائه رضوان الله عليهم.

وفيه كان يجري التحاكم، كما في قصة ماعز، والملاعنين، واليهوديين الذين زنيا، وغير ذلك.

وفيه كان يلتقي بالوفود، لأن النبي صل لم تكن له دور واسعة، إنها هي حجرات لأزواجها، لكل واحدة منهن حجرة، وقد التقى بوفود تميم في المسجد حين ناداه أحدهم، فقال: يا محمد! إِنَّ مَدْحِي زِينَ، وَإِنَّ ذَمِي شِينَ، فقال النبي صل: «ذاك الله»، فأنزل الله صل: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوَا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ عَلِيمٌ) [الحجرات: ١].

(١) «صحيح البخاري»: كتاب الجهاد والسير (٢٨٧٣).

ومنه كانت تبعث الدُّعَاء، ويبعث الأمرون بالمعروف، والناهون عن المكر، ولهذا قال علي بن أبي طالب رض لأبي الهياج الأسدى - رحمه الله تعالى - : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صل: ألا تدع صورة إلا طمسها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته » <sup>(١)</sup>.

وإليه تردد الإشكالات، ومنه تصدر الفتوى، فكم من قضية قد أشكل فيها الحكم، فبعثوا إلى أزواج النبي صل يسألهم، كقضية الجنب إذا طلع الفجر قبل أن يغتسل، وتقبيل الصائم، وغير ذلك من الأمور السرية، فيخبر أزواج النبي صل بما كان يفعل - صلوات الله وسلامه عليه - فتكون هي الفتوى، وعلى هذا فإنه يصح أن نقول: كان المسجد في زمان النبي صل بيت عبادة، فيه تؤدى الصلوات، ومن فوق منبره تصدر التوجيهات، وتنكر المنكرات، وهو مدرسة للتعليم، وملتقى للعلماء وال المتعلمين.

ومنه ينطلق الدُّعَاء، وفيه تعقد الأولوية لللغزوات، وإليه تصل البشائر بالنصر في عهود الخلفاء الراشدين.

وفيه كان النبي صل يستقبل الوفود.

وإليه تصدر الإشكالات، ومنه تصدر الفتوى؛ بل وأعظم من ذلك أن النبي صل كان يتخذ من المسجد مستودعاً لمال الزكاة قبل قسمته كما في

---

(١) « صحيح مسلم »: كتاب الجنائز (٢٢٤٠).

حديث أبي هريرة ﷺ حين كان حارساً على قمر الصدقة، وقول النبي ﷺ:  
«صدقك وهو كذوب»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يلتقي بأصحابه حين يحدث له ما يفرجه، كما في قصة  
توبه الله على الثلاثة الذين خلفوا، في حديث كعب بن مالك<sup>(٢)</sup>.

أو يحزنه كما في قوله -صلوات الله وسلامه عليه-: «من يعذرني من  
رجل بلغني أذاه حتى في أهلي»<sup>(٣)</sup>.

لذلك فإنَّ المساجد جديرة بالثناء والتنويه الذي نوه الله بها فيه حيث  
قال: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ  
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تَحْرِثَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ سَخَاوُنْ يَوْمًا  
تَنَقَّلُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ<sup>(٤)</sup> لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ  
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ» [النور: ٣٦ - ٣٨].

وقال سبحانه وتعالى: «وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُدِمَتْ صَوَامِعُ  
وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ»  
[الحج: ٤٠].

(١) « صحيح البخاري »: كتاب الوكالة (٢١٨٧).

(٢) « صحيح البخاري »: كتاب المغازي (٤٤١٨).

(٣) « صحيح البخاري »: كتاب الشهادات (٢٥١٨).

وحيث أن المسجد هو منطلق لكل عمل خيري؛ فإن الواجب على المسؤولين عن المساجد ألا يولوا عليها إلا من يكون أهلاً لذلك، بأن يعلم عنه أنه ينشر من خلال المسجد في دروسه، وخطبه، ومواعظه، وتعليقاته ما هو مؤيد بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ وعمل السلف الصالح. وأن يمنعوا من علم عنه أو اتهم بقرائن واضحة؛ بأنه حزبي ينشر البدع ويقرها، ويدعو إليها، فإن هذه المسؤولية يسأل الله عنها من تولاها هل وضعها في محلها أم لا؟

وهذا أمر لا شك فيه؛ فالسؤال لا بدّ كائن، والله تعالى يقول: «فَلَنْسُئَلَنَّ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلَنْسُئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ⑤ فَلَنْقُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَابِرِينَ» [الأعراف: ٦-٧].

ويقول جل من قائل: «فَوَرِبَكَ لَنْسُئَلَهُمْ أَجْمَعِينَ ⑥ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

[الحجر: ٩٢-٩٣].

نسأله أن يصلاح أحوال المسلمين، وأن يبصرهم بالحق، ويرزقهم اتباعه، وأن يبصرهم بالباطل، ويرزقهم اجتنابه، وألا يجعله ملتبساً عليهم فيضلوا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

كتبه/ أحمد بن يحيى بن محمد النجمي

١٤٢٦ / ٤ / ١٠ هـ